تاريخ شعراء العربية

العصر العباسي الثاني

# ابن دريد





إعداد

الدكتور محمد حسني مصطفى

مراجعة

أحمد عبد الله فرهود




منشورات

دار القلم العربي بحلب





الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

عنوان الدار

سورية – حلب – خلف الفندق السياحي

شارع هدى الشعراوي

هاتف : ٢٢١٣١٢٩ ص . ب : / ٧٨ / فاكس : ٢٢١٢٣٦١ ٢١ - ٠٠٩٦٣

# بسم الله الرحمن الرحيم

## اسمه وموطنه ونبذة عنه

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأَزْديّ ، من ، أزد عمان ، وقد انتقل أهلُه إلى البصرة بعد تمصيرها من غير أن تنقطع صلتُهم بموطنهم الأول .

ولد ابن دريد في البصرة سنة ٢٢٣ هجريَ ( ٨٣٨ م ) ونشأ فيها ، وأخذ العلم عن عمّه الحسين وعن أبي عثمان الأشنانداني وأبي حاتم السجستاني وسواهما .

ولما دخل الزنج البصرة سنة ٢٥٧ هجري ( ٨٧١ م ) هجرها ابن دريد إلى عُمان ، موطن الأزد حيث بقي اثنتيَ عشرة سنة ، وفي نحو سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م ذهب إلى الأهواز في صحبة واليها عبد الله بن ميكال ( عبد الله بن محمد بن ميكال ) ، مؤدباً لابنه إسماعيل الميكالي المشهور . ثم ولى ابن ميكال والي الأهواز ابنَ دريد على ديوان فارس ، فمكث ابن دريد في ولايته هذه نحو ستّ سنوات ثم انتهت ولاية عبد الله بن ميكال على الأهواز ، وذهب إلى خراسان فذهب ابن دريد معه ، ولمّا توفي عبدُ الله عاد ابن دريد إلى بغداد ( ٣٠٨هـ / ٩٢٠ م ) فأجرى الخليفة المقتدر عليه خمسين ديناراً في الشهر .

توفيّ ابن دريد بمرض الفالج في الثامن عشر من شعبان عام ٣٢١هـ / ٩٣٣م ، وهو بحدود الثامنة والتسعين من العمر .

## منزلته الأدبية ، وآثاره

يعد ابن دريد في علماء اللغة البارعين ، ومن النّقاد والشعراء ، ومن أئمّة الأدب ، ومن تلامذته السيرافي والمرْزباني وأبو الفرج الأصبهاني وأبو علي القالي والزّجاجي وابن خالويه .

ومن كتبه جمهرة اللغة ، ألفه لبني ميكال حينما كان في بلاطهم ، وله أيضاً كتاب الملاحن ، وغريب القرآن ، وأدب الكاتب والمقصور والممدود ، والمجتنى ( من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ) والمقتنى ، والاشتقاق ، ووصف السّرج واللّجام ، ووصف المطر والسحاب والأمالي [1] .

وله ديوان شعر صغير ينطوي على مدح وهجاء ورثاء وغزل ، ووصف .. وتكثر في شعره الحكمة . وأشهر قصائده مقصورته الذائعة التي استغرقتْ مائتين وستة وأربعين بيتاً ، وهي من الشعر التعليمي .

## قوة حافظته

نقل ياقوت الحموي في معجم الأدباء ١٨ / ١٢٩ عن ابن دريد قوله :

" كان أبو عثمان الأشنانداني معلّمي ، وكان عمّي الحسين بن دريد يتولى تربيتي فكان إذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان ليأكل معه فدخل يوماً عمّي ، وأبو عثمان يروِّيني قصيدة الحارث بن حِلّزة التي أولها :

---

(١) الأمالي : في معهد المخطوطات بالقاهرة صورة عنه . وفي دمشق مخطوط آخر له بعنوان ذخائر الحكمة ( انظر مجلة المجمع العلمي العربي ١٩/ ٧٤ ) وذكر ابن النديم في الفهرست كتباً أخرى له .

آذنتنا ببينِها أسماءُ ربّ ثاوٍ يُملّ منه الثَّواء

فقال لي عمي إذا حفظْتَ هذه القصيدة وهبتُ لك كذا وكذا ، ثمّ دعـا المعلمِ ليأكل معه ، فدخل إليه ، فأكلا وتحدّثا بعـد الأكـل ساعة فـإلى أن رجـع المعلّم حفظت ديوان الحارث بن حلّزة بأسره " .

## رأيٌ في بعض الناس

مّما حزَّ في نفس ابن دريد مالحه لدى بعض الناس من إيثـار طريـق الظلـم والريبة والضلال ، والنزوع إلى الخلاف ، والتّشكك في عمـل الخير ، والخـوض في أمور الشر يقول :

أرى النَاس قد أغروا ببغي وريبةٍ وغيٍّ إذا ما ميَّز الناسَ عاقـلْ
وقد لزمـــوا معنى الخلافِ فكلُّهم إلى نحوِ ما عاب الخليقَةَ مائلُ
إذا مـــــارَأَوْا خيراً رموه بظِنَّةٍ وإن عاينوا شراً فكل منـاضِلُ (١)

## طُرفةٌ أدبية

كان النحويُّ الشهير نِفْطَوَيْهِ ، واسمه إبراهيم بن محمد بن عرفة ، يقع في ابن دريد ، ويطعن في روايته ، وإليه تعزى هذه الأبيات :

ابـنُ دُرَيْـدُ بقَـرَهْ وفـيـه عُجْبٌ وشَرَه
ويـدّعي بجهلــهِ وضع كتاب الجمهرةَ
وهو كتابُ العينِ إلا أنه قــد غيَّـــره (٢)

---

(١) ديوان ابن دريد ( حققه محمد بدر الدين ) ، طبع في القاهرة ١٣٦٥هجري.ص ٩٩.

(٢) معجم الأدباء ٤٧/١٧ ، ومقدمة جمهرة اللغة ( للمصحّح ) ١٤/١ .

فرد عليه ابن دريد فقال:

**أفٌ على النحــو وأربابهِ قد صارَ من أربابهِ نفطويــه**
**أحْرقَهُ اللهُ بنصفِ اسمه وصيَّر الباقي صراخاً عليْه** [1]

## أحاديث ابن دريد

أشارَ الحصريُّ في كتابه زهر الآداب إلى أنّ أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد أغرب بأربعين حديثاً استنبطها من ينابيع صدره ، واستنخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضمائر ، في معارض عجميّة وألفاظ حوشية ( غريبة ) ، وقد عارضها فيما بعد بديع الزمان الهمذاني بأربعمائة مقامة في الكُدْية تذوب ظَرْفاً [2] .

ولكن هذه الأحاديث الأربعين افتُقدت، ووقف الدكتور زكي مبارك على نصّ الحصري ثم مضى يعلن أن ابن دريد هو مبتكر المقامات ، وأنه سماها أحاديث [3] . وبما أن هذه الأحاديث ضائعة فقد يلتمسها في أمالي القالي ، ومقدمة ديوان أبي نواس الذي جمعه الأصفهاني .

وإلى هذا الرأي جنح أيضاً محمد كامل بركات في رسالته عن ابن دريد ( آداب القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م ) .

---

(١) ديوانه ١١١ .

(٢) زهر الآداب ( ط٢) ١/ ٣٠٧ .

(٣) النثر الفني في القرآن الرابع ١/١٩٩ .

لكنْ لابدّ من المَيْزبين هذه الأحاديث التي نقلها ابن دريد بأسانيد مُسلسلةٍ عن غيره ، ومقامات بديع الزمان التي أنشأها هو ، فهذا المَيْز (التمييز) ضروري حتى لا نقلل من شأن الأسانيد التي هي أدقّ الطرق في توثيق تراثنا .

## من مدائحه ( غير المقصورة )

أبو أحمد حُجْر الجويمي من رجال فارس النابهين ، ذو شرَف وعزّة وسيادة ، وسخاء ، أجرى الله تعالى على يديه أرزاق العباد وزان وجهَه بالنور والإشراق والسماحة :

**حُجْرُ بن أحمد فارغُ الشَّرَف الذي — خضعَتْ لعزّته طُلَى الأعناقِ [١]**
**انظرْ أناملَه فلسن أنا ملاً — لكنّهنّ مفاتحُ الأرزاق**
**وانظر إلى النَور الذي لو أنّه — للبَدْر لم يُطْبع برَيْنِ محاق [٢]**

## رثاء محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ

كان محمد بن جرير الطبري رأساً في ثلاثة علوم ، كان فقيهاً مجتهداً ، له مذهب خاص به ، وذاب مذهبُه فيما بعد في المذاهب الأربعة المعروفة ، وكان مؤرّخاً فذاً . وله كتاب تاريخ الأمم والملوك ، وكان مفسّراً ينحو منحى التفسير بالمأثور ، وله تفسير مشهور . فلمّا توفي ترك من بعده ثغرة واسعة في أبناء عصره ، فحزنوا وتكدّروا عليه ، وأسِفوا على ما كان يبثّه في الناس حولَه من علم وهدى :

(١) فارع الشرف : عالي الشرف . طُلى : جمع طلية وهي أصل العنق .

(٢) يطبع : يدنس . رَيْن : أذى ، فساد . محاق : اضمحلال القمر آخر الشهر .

**أن المنيَة لـم تتلِفْ به رجــلاً** | **بل أتلفَتْ علماً للدّين منصوباً**
**كان الزمان به تصفو مشاربُه** | **والآن أصبحَ بالتكدير مَقْطوباً [1]**
**كلا وأيامه الغُرّ التي جُعِلــتْ** | **للعلم نوراً وللتقوى محــاريبا [2]**

# الإمام الشافعي

وأقرب المذاهب الفقهيـه إلى مذهـب الطـبري مذهـب الإمـام محمـد بـن إدريس الشافعي المتوفى قبل وفاة الطبري بأكثر مـن مائة سـنة ٢٠٤ هــ وكـان إماماً فذاً متعمّقاً في كل أنواع العلـوم ، متخصصـاً في العلـوم الدينيّـة والعربيـة ، وألـف مائـة وخمسـة وسـبعين كتابـاً عـالجَ بعضهـا اختصاصَـه الأساسيّ ، مثـل ( الرسـالة ) في أصـول الفقـه ، و(( الأم)) في مذهبـه الفقهـي ، وبعضهـا عــالج موضوعات علمية بحتة كالطب ، وساق ابن النديم في الفهرســت ، ويـاقوت في (( معجم الأدباء )) ما ينوف على مائة سفر للإمام الشافعي .

إنّ آراء الشافعي لنافذةٌ قويـةٌ ، تبـدد حُجُـب المعضـلات ، وتحـلّ أعتـى المشـكلات : ولقـد آزره الله تعـالى ورفـع مقامـه ، ولا خـافضَ لمـن رفعــه الله تعالى :

**لرأي ابن إدريسَ ابنِ عمّ محمــدٍ** | **ضياءٌ – إذا ما أظلم الخطبُ – صادعُ**
**إذا المعضلاتُ المشكلاتُ تشابهتْ** | **سـمــا منــــه نورٌ في دُجاهنّ ساطعُ**
**أبــى الله إلا رفعَــه وعلــوّه** | **وليس لما يعليــــه ذو العرش واضعُ**

---

(١) مقطوب : ممزوج .

(٢) محاريب : جمع محراب ، وهو المصلّى .

## وصف النرجس

للنرجس عيون ذهبية مفتّحةٌ ليلَ نهار ، يحيط بها ما يشبه الدر ، فهي تتلألأ :

**عيـــونٌ ما يلمّ بها الرُّقادُ ولا يمحو محاسنَها السُّهادُ**
**لها حدق من الذهب المصفّى صِياغةَ من يدينُ له العبادُ**
**وأجفـــانٌ من الدّرّ استفادت ضيــاءً مثله لا يُستفـادُ**

## مدح عبد الله بن محمد بن ميكال وابنه أبي العباس إسماعيل

كانت حالته نكدة ، فإذا بهذا الزعيم ، وابنه ، ينتاشانه منها ، ووصلاه برِفْدهما فأورق غصنه ، وارتفعتْ مكانته والأمير عبد الله أحسن مثواه ، فأنقذه من ضياعِه ، وابنه أبو العباس أوسع عليه فاغتنى بعد فقر واستكثر بعد قلة ، ذلكم أبو العباس العالي الشمائل ، الرفيع السّجايا ، الذي كاد يسخائه وسنائه أن يبلغ الأَوْج ، وسالت عطاياه ، ثم يفدي الأميرين بنفسه وبالناس أجمعين :

**تــلافَيا العيشَ الذي رنَّقـــه صرفُ الزّمان فاستساغ وصَفا [1]**
**وأجريا ماءَ الحيالي رغَـــداً فاهتزّ غُصْني بعدمــا كان ذوَى [2]**
**إنّ ابن ميكال الأمير انتاشني من بعد ما قدكنتُ كالشيء اللّقَا [3]**

---

(١) تلافيا : أدركا . رنّقة : كدّره . صرف الزمان : نوائبه . استساغ : صار سائغاً . ( تحسّنتْ أحواله المعيشيّة ) .

(٢) الحيا : الغيث ، والخصب . ذوى : ذبل . اهتز غصني بعدما كان ذوى : : كناية عن تحسّن أحواله بعد أن كانت شقيةً .

(٣) انتاشني : أنقذني من شقوتي . اللّقا : المرمّي في عرض الطريق لا يُعبَأ به .

ومــدَّ ضَبْعَيَّ أبو العبّاس مِنْ ... بعد انقباض الذرع والباع الوَزَى (١)

ذاك الذي ما زال يسمو للعُلا ... بفعله حتّى عــــلا فوق الـعـلا

لو كـــــان يرقى أحد بجوده ... ومجــدِهِ إلى الســـــماء لارتقى

ما إن أتـــى بحرَ نداهُ مُعْتَفٍ ... على أوارَى علــــم إلا ارتوى (٢)

نفسي الفداءُ لأميريَّ ، ومَنْ ... تحتَ الســمــاءِ لأميــريَّ الفِدا

## مقصورة ابن دريد

الأبيات السابقة التي مدح بها عبد الله بن محمد بن ميكال والي الأهواز وابنه إسماعيل هي جزء من مقصورته المشهورة ، التي أخذت مائتين وستة وأربعين بيتاً ، وبناها على المقصور ، وهو ما انتهى من الأسماء بألف لازمة مفتوح ما قبلها .

وقد استهلّها بالنّسيب على طريقة الشعراء القدماء

**يا ظبية أشبهَ شي بالمَها ... تَرْعى الخزامى بين أشجار النَّقَا (٣)**

وقد مضى يشكو من شيبه وحبّه وأرقه بسبب طول الفراق ، حتى إنه ليتحمل من ألم الشوق وتباريحه ما لا يحتمله الصَّخْر الأصمُّ ، ولقد ذوى غصنه الرطيب ، وأصبحت حياتُه كلها غُصَصاً لا تطاق . ويتجه إلى الدهر الذي يصبُّ عليه المحن فيقول :

---

(١) الضّبع : وسط العضد . مد ضبيعه : بسطهما ، كناية عن اتساع حاله . وانقباض الذرع والباع كناية عن ضيق الحال . الوزى : الرجل القصير الملّزز الخَلْق .

(٢) نداه : كرمه . المعتفي : طالب المعروف . الأوارى : النار . العلم : الجبل .

(٣) المها : بقر الوحش . الخزامى : نبات زهره طيب الرائحة. النقا : المنقطع من الرمل .

| | |
|---|---|
| **يـا دهــــر إن لم تكُ عتبى فاتَّئذْ** | **فإن إروادك والعتبى ســـوا [1]** |
| **لا تحســبَنْ يـــا دهْرُ أني جازعٌ** | **لنكبةٍ تعرقُني عَرْق المُــدى [2]** |
| **مارستُ من لوهوت الأفلاك من** | **جوانب الجوّ عليه ما شــكـا** |
| **لكنـهـا نـفثةُ مصـــــدورٍ إذا** | **جاش لغامٌ من نواحيها عمَا [3]** |

فهو يخاطب الدهر لعله يُحْظيه برضاه ، أو إن لم يكنْ ذلك فأن يتأنى في كيل الخطوب له ، ويستوي عند ابن دريد أو يتقارب رضى الدهر أو تأنّيه .

ويعود فيبدي صلابته وقوته أمام المحن ، فهــو غـير جـزع ولا ضجـر ولا متخاذل ولو كانت المصائب تنهال عليه بقسوة حتى تسلخ لحمــه عـن عظمـه ، كمـا تصنـع السـكاكين ، فكـل ذلـك لا يهمّـه ، بـل لـو أن كواكـب السَّــماء وأجرامها ـ على كثرتها ـ تساقطت عليه لتحمَّلهـا واصطـبر ، وإذا كـان يُنمـح منه في بعض الأحيان شكوى ، فمـا هـي في الحقيقـة بشـكوى ، إنمـا هـي نفثـة مصدور ، وما أشبهها بالزبد الذي يخرج على فـم البعـير ، ويسـقط منـه ، فهـل يَعدِلُ ذلك الزبد من ذلك الجمل إلا القليل القليل .

---

(١) عتبى : رضا . إرواد : رفق . سوا : سواء ، مصطحبان .

(٢) تعرقه : تفصل لحمه عن عظمه

(٣) اللّغام : زبد يخرج من فم الجمل . عما : سقط .

ثم مضى ابن دريد يتغزّى بمن سطا عليهم الدهر قبل أن يحققوا آمالهم من أمثال امرئ القيس ويزيد بن المهلب .

ثم استطرد يتحدّث عن بعض ذوي الهمم الشامخة كسيف بن ذي يزن وعمرو بن هند ، ثم يصوّر ابن دريد نفسه بطلاً فارساً بحصانه وسيفه .

واستفاض يصفهما ، ثم يصف رحلته إلى الأهواز ، وهنالك يمدح الأميرين ثم يتغزل ، ثم يأتي بطائفة من الحكم ، مثل قوله :

**وإنمَا المرء حديْث بعدَه فكنْ حديثاً حسناً لِمَنْ وَعَى**

ويتحدث عن رحلة له قام بها مع بعض صحبه إلى الصحراء ، ويصف ما تجشّمه من أهوال ومشاقّ ، وما حفّ بهم من أخطار . ثم يصف الخمر .

ومع أنه أتى بأسماء مقصورة كثيرة لم يُغْرِبْ في لغته ، فشعره هاهنا شعر تعليمي لا يكلف الطلبة مزيدَ عناء ، وأغلب الظن أن الهمذاني أفاد من هذه الطريقة اللغوية التعليمية التي رآها في آثار ابن دريد وفي أحاديثه التي رواها ، فجاء بمقاماته الرائعة التي تنفع وتمتّع .

# قصيدة ابن دريد في المقصور والممدود

وهذه القصيدة أيضاً من شعره التعليمي ، وهي أقرب إلى المتون اللغوية ، وهي تشتمل على سبع وخمسين كلمة مقصورة ومثلها ممدودة ، من مادتها نفسها ، وبدأها بما يُفتَح أوله فيُقصَر ويُمدّ ، والمعنى مختلف مثل الهوى والهواء . وأتبع ذلك بما يُكسر أوله فيقصر ويُمدُّ والمعنى مختلف مثل : اللّوى واللّواء [١] .

ثم ما يكسر أوله فيقصر ، ويفتح فيُمَدّ ، والمعنى واحد ؛ مثل سوى وسَواء .

ثم ما يضمّ أوله فيُقْصر ، ويُكسر فيمد والمعنى واحد . مثل لُقا ونقاء

ثم ما يفتح أوله فيُقصر ، ويكسر فيمد والمعنى واحد مثل الغذا والغِذاء.

ثم ما يفتح أوله فيُقصر ويُكسر فيمدّ والمعنى مختلف مثل السّحا والسِّحاء [٢] .

ثم ما يضم أوله فيقصر ، ويفتح فيمّد ، والمعنى مختلف . مثل ضُحى وضحاء [٣] .

## باب ما يُفتح أوّله ويُقْصر ويمدّ والمعنى مختلف

**لا تـــركنَن إلى الهـــوى** ... **واحذر مفارقةَ الهـــواء**
**يوماً تصير إلى الثــَرى** ... **ويفوز غيرُك بالثَّــــراء**

(١) اللوى : منقطع الرمل . واللواء : الراية .

(٢) السّحا : القرطاس . السِّحاء : نوع من الشجر .

(٣) الضّحاء : النهار .

الهوى في البيت الأول مقصور ،وهو هوى النفس . وتثنيته هوَيان ، وكتابته بالياء غير المنقوطة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وأمَّا مَنْ خاف مقامَ ربِّه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هي المأوى** ﴾ [١] .

والهواء ، بالمدّ ، ما بين السَّماء والأرض ؛ قال الله تعالى : ( وأفئدتهم هواء ) [٢] أي منحرفة لا تعي شيئاً .

والثرى – مقصور – التراب النديّ ، وتثنيته ثريان ، وكتابته بالياء غير المنقوطة ، والثراء – ممدود –:المال .

**كم من حفير في رجا　　　بئـر لمنقطع الرَّجاء**
**غطَّى عليه بالصَّفا　　　أهل المودَّة والصَّفاء**

الرَّجا : جانب البئر ، وتثنيته رجوان ، وكتابته بالألف . والرجاء : ممدود .

والصفا : الحجارة العراض ، واحدتها صفاة . وتثنيتها : صفوان . وكتابتها بالألف .

والصَّفا : إخلاص المحبة ، من الشيء الصافي .

**ذهب الفتى عن أهله　　　أيــن الفَتِيُّ من الفَتاء**
**زال السَّنا عن ناظريه　–　وزال عن شرف السَّناء**

(١) سورة النازعات ٤٠ –٤١ .

(٢) سورة إبراهيم ٤٣ .

الفتى : واحد الفتيان ، وكتابته بالياء ، وتثنيته : فتيان .

والفتاء ( ممدود ) : مصدر : يقال : إنه لفتى بيّن الفتاء والفتوّة . والسَّنا ( مقصور ) الضوء من برق وغيره ، وتثنيته سنوان ، وكتابته بالألف .

والسَّناء : المجد .

**مــازال يَلتمِس الخلَى حتى توحَّد في الخلاء**
**قطع النَّسا منه الزما ن فلم يُمتَّعْ بالنّســـاء**

الخلى : العشب الرطب ، وتثنيته خلَيان .

والخلاء : من الخلوّ ، ويقال : خلا يخلو خلاء .

والنسا ( مقصور ) : عرق مستبطن الفخذ ، وتثنيته : نسَيان ونسَوان .

# خاتمة

لابن دريد غير هاتين القصيدتين التعليميتين قصيدة طافحة بالغريب الوحشي ، ومقطوعة في أعضاء الجسم التي تذكر ولا تؤنّث ، وثانية فيما يؤنث ولا يذكّر ، ومقطوعة ثالثة أخرى فيما يجوز فيه التذكير والتأنيث .

فابن دريد لغوي شاعر ، وفريق من شعره يحمل نفثاتٍ شعوريّة حية ، وفريق آخر إنما هو نظم تعليمي ، فائدته فيما يؤديه من معارف .